

يدربنا ! فلمل في معهدنا الجديد يستطيع أستاذنا متشنيكوف أن يدرّب هذه الفجوسات الصغيرة على التهام كل أنواع المكروبات !»

وقبيل متشنيكوف هذا النصب الجديد ، ولكنه احتاط فقال لرجال السلطة قول الخذر البصير : « أنا رجل اكبر منه في النظريات ، وأبحاث كثيرة لا يكاد يتسع لها وقتي ، وإذن فمن الواجب أن يتدرّب غيري على صناعة الألقحة vaccines وأن يقوم بالجزء العملي من واجبات العمل »

ولم يكن في أودسا في ذلك الوقت رجل واحد يعرف عن صيادة المكروب شيئا . لذلك أرسلوا صديق متشنيكوف الدكتور جماليه Samaléia بسرعة الى باريس الى معهد بستور . فلما حل فيه صحب بستور وصحب رو في عملهما وتعلم منهما الشيء الكثير ، ولكن هذا الكثير لم يؤدّن له يلوغ الكفاية ، فان أهل أودسا قل صبرهم ، وزاد قلقهم ، واشتدت رغبتهم في الخلاص من الأمراض فصاحوا يطلبون الألقحة ، فاضطرت الساطة تحت هذا الضغط العام الى استدعاء الدكتور جماليه ، ولم يكن طال مقامه في باريس . فلما عاد بدأ يصنع لقاحا لداء الجيرة تخليصا لشيء الريف ، ولقاحا لداء الكلب دفعا له عن أهل المدينة . عندئذ صاح متشنيكوف في الناس : « والآن كل شيء لابد سائر كما نهوى » وهو يجمل كل الجهل تلك الألاعيب الثقيلة التي تلعبها المكروبات أحيانا على ممارسيها . ثم اعتكف الى نظرياته يبحث في الأرانب والكلاب والقرود ليرى أفي استطاعة فجوساتها أن تبلع مكروب السل والجيرة والحصى الراجعة . وانطلقت النشرات العلمية تخرج من معمله في تلاحق سريع ، وأخذ يُحاث أوروبا يتأثرون بكشوفات ذلك الرجل المبغرى يسلد الروس السفلى . ولكنه لم يلبث أن بدت له المصاعب في نظريته ، فالكلاب والأرانب والقرود ليست شفاة كبراغيث الماء

ثم أخذ الحال يسوء في المعمل ، فأخذ الخصاص يدب بين رجاله وعلى رأسهم الدكتور جماليه ، فاختلطت الألقحة وتلوثت ، وانكبت على الأرض من أنابيبها . وجاء أطباء البلد يتسللون وفي قلوبهم بالطبع حفيظة وغيره من هذا العلاج الجديد ، وأخذوا يسألون الأسئلة المخرجة ليُشيموا شاعة السوء في الناس : « من هذا الأستاذ متشنيكوف ؟ ومن أين جاءه الأستاذية وهو

## قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

### الحصانة واليهودي الأفاق

— ٤ —

#### رصل الفات

اكتشف متشنيكوف في بعض الأحياء المائية الصغيرة خلايا تدور في أجسامها فاذا هو حفن في هذه الأحياء صبغة تجمت تلك الخلايا فأكلت الصبغة . وإذا شك الحيوان بشوكة نهضت تلك الخلايا اليها تقدم السوء الداخلة . وأدخل في أجسام تلك الأحياء مخار قاتلة ، فهضت اليها الخلايا فانهتها . عندئذ فسر الحصانة بأنها حرب بين خلايا طليقة في الأجسام ككل كرات الدم البيضاء وبين المكروبات الداخلة اليها . وأستنى هذه الخلايا فجوسات

أجد متشنيكوف بعد ذلك يبحث في هذه الحروب هل هي عنها التي تقع في الضفادع والأرانب . وفي عام ١٨٨٦ وردت أخبار بستور من وراء الحدود تنقل حديث شفاة الروسيين الستة عشر من عضة الكلب المسعور بعد ضياع الرجاء فيهم<sup>(١)</sup> ، فاهتز أهل أودسا الأخيار لهذه الأخبار ، ونهضوا ، ونهض معهم أهل الريف الذي حولهم حتى حدود المقاطعة ، نهضوا جميعا يشكرون الله على ما جبا ، ومهتفون لبستور على ما أتى ، وجمعوا كيبا ضخمًا من الروبيلات<sup>(٢)</sup> لاقلمة معمل يُنشأ تورا في أودسا . وعينوا متشنيكوف مديرا عليها لهذا المعهد الجديد . ولم لا ؟ أليس هو الرجل الذي درس في كل جامعات أوروبا ؟ أليس هو العالم العلامة الذي خطب أطباء أودسا فأفاض عليهم من منابع علمه تلك الافاضة الكبرى ؟ أليس هو الذي شرح لهم ما خفي من أمر فجوسات<sup>(٣)</sup> الدم التي تأكل المكروب أكلا لعا ؟ ونسوا حينًا أنه يهودي !

وكنت إذا تصممت الى الناس وجدتهم يقولون : « من

(١) أنظر ما سبق من ترجمة بستور

(٢) الروبلة هي الوحدة الفضية الروسية ، وهي من الفضة وتساوي

نحوًا من نصف ريال مصري (٣) كراته البيضاء

سمع سروراً ، وامتلاّت نفسه زهواً . وكيف لا ، وهذا أبو  
المكروبّات الشيخ الأجل استمع له وفهمه ثم آمن به ... وكان  
أبو ألبا قد مات وترك لهم دخلاً متواضعاً . وتراعى لمتشنيكوف  
أن باريس مهد طيب لنظرية الفجوسات إذا هي آزرها معهد ذو  
جاه كمعهد بستور ، فأل بستور : « سيدى ، أود لو يكون لى  
مكان فى معهدكم ، وأنا بهذا إنما أبنى العمل فى معملكم على أية  
صورة وبغير أجر » . وأدرك بستور أنه لا بد من استبقاء حماسة  
الجاهير لصيادة المكروب ، وأن رجل الشارع لا يفهم من العلم  
غير تلك الأحداث المهيجة والدرامات المثيرة ، فأجاب متشنيكوف  
عن سؤاله : « أنا لا أقبلك تعمل فى معلى فحسب ، بل سيكون  
لك فيه معمل كامل موقوف عليك » . وسافر متشنيكوف الى  
أودسا ، وفى طريقه التقى بكوخ فجبهه كوخ واستغلظ له ،  
وأخذ يفكر ويخاير نفسه بين قبول العمل فى المعهد الفرنسى  
والتخلص من قوم لا يقتأون بصرخون يستجلون التأمج ،  
وبين البقاء فى العمل الروسى والبقاء على الرتب الطيب الذى  
يتقاضاه منه . . . وقرر بعد التردد أن يبق حيث هو من أودسا  
وواصل عمله فيها ، ولكن حدث بعد قليل حدث لم يترك  
لنفسه خياراً . . . ذلك أن الفلاحين زادت شكواهم من القطمان التى  
تموت بالجرمة وعلت أصواتهم فى طلب الألقحة ، فأمر متشنيكوف  
الدكتور جماليه أن يحمن الشياه بلقاح الجرمة جملة واحدة . وذهب  
متشنيكوف وزوجته ألبا الى بيتهم الريفى الصيفى ، وذات يوم  
جاءتهم فيه الرسالة التلغرافية الآتية من الدكتور جماليه :

قتل لقاح الجرمة آلافاً من الشياه

فلم تمض أشهر قليلة حتى كان متشنيكوف استقر فى معهد  
بستور الجديد فى باريس ، والى جانبه ألبا — تلك الزوجة  
الطيبة — التى كانت لا تقصّر فى عمل أى شىء لزوجها لأنه  
عبقرى ولأنه عطوف عليها — قامت الى جانبه تمدك له الحيوان  
وتنسل له الزجاجات ، وهى لو تركت لنفسها لفضلت تصوير  
الزيت أو نحاتة الحجر — فنّين جميلين أقرب لثمتها وأملأ لثمتها .  
ومن تلك الساعة مثنى الزوجان ، بدأ فى يد ، فى طريق النصر  
من غلبة الى غلبة ، وقد انتشرت على جانبيه من أخطأهما ورود  
زادت طرفهما ووهة وجمالاً

( يتبع )

أحمد زكى

لا يحمل شهادة طيب ؟ إنه ليس إلا رجل طبيى Naturalist ،  
وصياد جراثيم ، فمن أين جاءته معرفة الأمراض والوقاية منها ؟  
وصاح الناس : « أين العلاج المزعوم ؟ ! » وصاح المزارعون  
الذين نزلوا بأيديهم عميقاً فى أكياسهم طلب الذقود الكثيرة  
يذلونها عن طواعية : « أين الحصانة الموعودة ؟ » . واضطر  
متشنيكوف الى الخروج من محرابه ساعة ، والبروز من ضباب  
نظريته وفجوساته حيناً ، ليصرف الناس عن شكواهم ، وكانت  
الفران عاتت فى الحقول فأكلت المحاصيل ، فبذر فى تلك الحقول  
بشلة كوليرا الدجاج لتغضى على الفران . ولكن تقريراً خطيراً  
كاذباً كتّيب من فار ظهر فى الجريدة اليومية يتهم متشنيكوف  
أنه إنما بذر الموت والوبال فى الحقول ، لأن كوليرا الدجاج  
تستطيع أن تتحول الى كوليرا الانسان ... !

فضجر متشنيكوف وشكا فى خفوت : « ما شأنى بهذا  
السخب ! أنا رجل باحث وأبحاثى متكاثرة على ، وأنا رجل  
ذو نظرية ، ونظريتى فى حاجة الى كثير من الهدوء لتشتد  
وتنمو . . . » وسأل أهل السلطة إجازة فأعطوه إياها ، فحزم  
حقيته وذهب الى مؤتمر فينا ليخبر كل من يجد هناك بأمر  
فجوساته ، وليجد لنفسه ركناً هادئاً يستقر فيه ويعمل بميدا عن  
النضواء ، فلا يكون مضطراً لاثبات صحة نظريته لسطات قليلة  
الصبر تطلب خلق العلاجات ، ولا يكون مدفوعاً لارواء شهوة  
الفلاحين وتمويضهم عن كل قرش دفعوه بتعجل الأدوية  
وابتسار الحصانات . ومن فينا ذهب الى باريس ، وفى باريس  
انتظره نجاح باهر لم ينتظره . فهناك تعرّف الى بستور العظيم ،  
فإن تم التمازج حتى انفجر بحدته عن فجوسته ونظريته فيها ،  
ووصف له المارك التى تقع بين الفجوسات والمكروبّات وصفاً  
بديها سماوياً جذاباً ، وتأمل شيخ المكروب صاحبنا بين  
مُتعبّة طميصة أخذت تبرى للذى تسمع حيناً بعد حين ، فلما  
انتهى الحديث ، قال بستور : « أنا فى صفك يا أستاذ متشنيكوف ،  
ذلك لأنه كثيراً ما استوقفتنى مارك كالتى تصف كنت أظلمها  
بين شتى الأحياء المجهرة الدنيئة ، وإنى لأحبك سائر على هدى  
فى الطريق الذى أنت فيه »

لم يكن بين المارك التى ذكرها بستور وبين تلك التى يصفها  
ميشنيكوف صلة أصلاً ، ومع هذا فقد امتلأ قلب متشنيكوف مما